الحب من الوجهة العلمية

— ٢ —

للأستاذ يحيى جمال الدين المحامي

تستعمل كلمة « حب » لتغطية أي مظهر من مظاهر الدافع الجنسي . ويجب التمييز بين الشهوة أو الدافع الجنسي من الوجهة الوظيفية ـ الفسيولوجية ـ وبين الحب وهو نفس الدافع متحد مع غيره من الدوافع النفسية الاخرى وليس هناك أي اتفاق فعلي حول التعريف الافضل للتفرقة بين الحب والشهوة والحقيقة انه من الممكن القول بان معظم التعريفات يمكن الاخذ بها بوصفها تعبر عن جزء من التفرقة .

ربما أمكن اعتبار الحب مركب من الشهوة والصداقة أو اذا نظرنا الى الامر من الوجهة الوظيفية نستطيع القول مع « فرزل » بان الحب هو الغريزة الجنسية كما تظهرها المراكز العقلية . أما « فستر » فبعد أن خصص عدة أبواب لتعريفات الحب المختلفة استنتج ان أفضل تعريف للحب هو أنه « شعور بالجاذبية واحساس بالاذعان الذاتي يصدر عن رغبة ويوجه نحو موضوع يجلب الهناء والامل » وهو تعريف لا يفي بالغرض كأغلب التعريفات والظاهر أن الحب في معظم أشكاله البينة دافع غيري « لاجل مصلحة الغير » . ولكن الواقع انه صادر عن دافع حب الذات حتى لو تضمن تضحية الذات فانه لا زال هناك ارضاء أناني . وبين من قال بهذه الفكرة العلامة « فرويد » فقد أكد في محاضراته الاستهلالية على هذا المصدر الأناني « حتى أنه قال في محل آخر بان الحب نرجسية — حب الفرد لنفسه — ابتداء » ولو أنه اعترف بأن الحب ينفصل أخيراً عن هذا المصدر .

واذن فالحب في نظر العلم يمكن تقسيمه الى عدة اقسام تتدرج من حب الذات الى أسمى مراحل الحب وهو الحب الغيري الذي يتمثل فيه فكر ان الذات ولكنها جميعاً ترجع الى أصل واحد هو الدافع الجنسي وهو ناتج عن الغريزة الجنسية التي يعبر بواسطتها علم الحياة عن حقيقة رغبة الحيوان أو الانسان الجنسية . وقد قورنت هذه الغريزة بغريزة التغذي والجوع الذي وجد له تعبير يقابله في موضوع الجنس وقد ابتدعه فرويد وهو : « الليبدو » وهي القوة الدافعة الجنسية . وقد كونت الفكرة السائدة حول الغريزة الجنسية عدة افتراضات ثبت خطؤها وعدم دقتها والتسرع باستنتاجها وهي ان هذه الغريزة لا توجد عند مرحلة الطفولة بل هي تتعلق بالنضج الجنسي وتظهر عند البلوغ كما افترض بانها تظهر بشكل جاذبية من أحد الجنسين على الآخر وان عاقبتها الاتصال الجنسي أو مايؤدي اليه من الأفعال . ولكن فرويد يؤكد أن الغريزة الجنسية تنشأ منذ الطفولة وأكد ان أول موضوع حب حقيقي للطفل هو الأم أما دليله على وجود الغريزة الجنسية فهو ما يشعر به الطفل من لذة حين اثارة بعض المواضع الحساسة من جسمه وهي الأغشية المخاطية المبطنة للفم والبول والافراز فان الطفل يلتذ بامتصاص أصابع يده أو حتى ابهام قدمه لأن ذلك يؤدي الى اثارة أغشية فمه ويلتذ حين التغوط والتبول للسبب نفسه « ومن هذا يستنتج أن العادة السرية قد تنشأ منذ هذه المرحلة » ولما كانت الأم هي السبب المباشر في اشباع هذه الغريزة علاوة على اشباع غريزة التغذي كان الولد ألصق بأمه من أبيه ولكن بعد هذه المرحلة يحدث العكس عند الفتاة فهي أكثر ميلا الى أبيها وترى في امها — كما يرى الولد في أبيه — مزاحماً له في الحب .

ويقول العلماء ان مبدأ الكبت يحدث في هذه الفترة إذ ان الطفل لا يظهر هذا الشعور الذي يحسه قبل والديه وسبب هذه الصفات المتضاربة يرجع الى تباين الجنس فكيف يحدث هذا التباين وتظهر هذه الفوارق بين الجنسين

من المعلوم أن الحيوانات الراقية ومنها الانسان مكونة أجسامها من جسيمات حية غاية في الدقة هي الحجيرات أو الخلايا وهي في الحيوانات الدنيا تقوم بجميع الاعمال الحياتية من تغذ وافراز وابراز وتنفس وغير ذلك وتقوم الى جانب ذلك بالتناسل والتكاثر وذلك بالانقسام الى اجزاء

تنمو بعد ذلك لتكون حيوانات مماثلة للسلف أما في الحيوانات الراقية فيحدث التخصص بين الحجيرات ويقوم كل مجموع منها بعمل ما فمنها من يقوم بالتناسل والتكاثر وهذه تحتوي كما تحتوي جميع الحجيرات الأخرى على جسيمات مجهرية دقيقة جداً تسمى بـ «الكروموسومات» أو حاملات الصفات وهي التي تقرر مصير الحيوان من حيث التذكير والتأنيث، والحجيرات التناسلية تتألف من نوعين نوع يوجد في الذكور من الحيوانات الراقية وهي الحويمنات المنوية وهي تحمل عدداً متساوياً من صفات التذكير والتأنيث. أما النوع الثاني فيوجد في الانثى وهي البويضة وتحمل نوعاً واحداً من الصفات هي صفات الانوثة ولو رمزنا الى عامل التذكير بالحرف « ر » ولعامل الانوثة بالحرف « ث » لكان الحويمنات المنوية يرمز لها (رث) والبويضة « ث ث » فاذا اتحد أحد الحويمنات المنوية التي تحمل صفات ذكرية [ر] مع البويضة « ث » كان الناتج ذكراً أي « رث » واذا اتحد حويمن منوي يحمل صفات أنثوية « ث » مع البويضة نتج « ث ث » أي أنثى

ولا يقتصر الاختلاف الجنسي على هذه العملية وإنما يتوقف التكوين الجنسي بالدرجة الأولى على التوازن بين الكروموسومات التي تحمل صفات الانوثة وبقية كروموسومات خلايا الجسم الاخرى ولما كانت العلاقة بينها تختلف تبعاً لاختلاف ما تحمله من صفات لذا تظهر درجات مختلفة من التذكير والتأنيث تبعاً لذلك واضافة الى ذلك وجد أن هذه الصفات المتباينة تتوقف على الافراز الهرموني التناسلي من الغدد التناسلية فتختلف درجة الانوثة والتذكير تبعاً لقوة أو ضعف الافراز. وهكذا ينتج عن أحد هذين العاملين [توازن الكروموسومات وفعالية الغدد] أو كليهما رجولة أو انوثة نسبية.

والتأثيرات الفسيولوجية الناتجة عن اختلاف افرازات الغدد التناسلية التي تستمر منذ الاسابيع الاولى من الحياة الى سن البلوغ جديرة بالاهتمام لما لها من انعكاسات اجتماعية ونفسية مهمة سواء أكانت هذه الافرازات ضمن الحد الاعتيادي الطبيعي أو عندما يكون البون شاسعاً بينها وبين الحد الاعتيادي. أي عندما تكون في الحد الاقصى او الادنى كل ذلك يؤدي الى التفاوت الملموس بين الجنسين ويعزز هذه الفروق بين الجنسين اضافة الى ما سبق الاضرار الوظيفية الناتجة عن الحيض والحبل والولادة التي تتحملها المرأة دون الرجل وهناك عامل وظيفي « فسيولوجي » مهم في التفرقة بين الرجل والمرأة وهو أن معدل تجدد خلايا الجسم في الذكر أكبر منه في الانثى فالرجل يستعمل طاقته بسرعة ولذا كانت حياته أقصر منها نسبياً فهو يركز كبيرة من الطاقة في هذه الحياة القصيرة نسبياً اكثر مما تستطيعه المرأة. ومن الملاحظ ان هذه المصروفات العظيمة هي التي لعبت دوراً وإن كان صغيراً في الشهرة التي حصل عليها الرجل في المدنية الغربية.

ولا تنكر أهمية المحيط حتى في العضويات الدنيا إذ أن المحيط الذي ينشأ فيه الكائن الحي له تأثير مهم على نشوء صفات التذكير والتأنيث حتى أن بعضهم يؤكد بأن المؤثرات الاجتماعية والنفسية للمجتمع الذي ينشأ فيه الكائن البشري تحدد بصورة رئيسية سلوك الرجال والنساء فقد وصف « ميد » قبيلة يلعب فيها الرجال والنساء دوراً معكوساً لما هم عليه في الأمم المتمدينة فيبدي الرجل نوعاً من الصفات هي من سجايا النساء في مجتمعنا والعكس عند النساء. ولعل هذا يفسر لنا سلوك بعض الرجال وحبهم الاتصاف بصفات الاناث والتزي بزيهن.

ينتج من كل ماسبق أن العوامل البيولوجيه والفسيولوجية وحتى العوامل الاجتماعية والنفسية هي التي تنشئ الفوارق الهامة بين الذكر والانثى أي انها تكون عنصري الحب الطبيعي رغم أنه قد تحصل صور أخرى من الحب بوجود أحد الجنسين فقط ولكنه ليس حباً بالمعنى الصحيح بل حب تسيطر عليه العناصر الأنانية بصورة تامة. أما الحب الطبيعي فانه وإن كان ينشأ عن حب الذات ابتداءاً لكنه بنمو الفرد ونضجه الجنسي ينضج الحب وتغدو العناصر الغيرية فيه شعورية وراقية وربما جعلت العناصر الأنانية قليلة الاهمية أو قبضت عليها تماماً ويمكن أن يقال ان العملية التي ينشأ بواسطتها الحب عملية مزدوجة فهي من جهة نتيجة لاشعاع الغريزة الجنسية خلال الجسم كله متخذة دورة

عصبية طويلة وهي تطغى على مناطق خارجة عن النطاق الجنسي طالما كان الدافع الجنسي قد بلغ نهايته بسرعة وبدون عائق . أما من الجهة الاخرى فهي نتيجة لامتزاج هذه الغريزة مع عناصر نفسية اخرى ذات صفات متجانسة تقريباً . فبعد مرحلة النضج الجنسي يعزز الحب بعواطف مجانسة صادرة عن علاقة الوالدين بنسلها فيمتزج حب المرأة الجنسي بعد ذلك بالحنو والعطف الذي يتطلبه صغارها . ويمتزج حب الرجل بعناصر المحافظة والرعاية التي تتضمنها العلاقة الأبوية . وهكذا يصبح الحب بعد الزواج جزءاً من كيان المجتمع وقد يتحالف حين بلوغه الحد الأمثل بدوافع الدين والفن وبذا يكون الحب قد تطور من حالته الغريزية الى أسمى معانيه .

ولكن الغريزة الجنسية قد تدفع بصاحبها الى اتباع غير الطريق السوي وعندها تظهر أشكال من الحب لايقرها البشر وتحرمها معظم الشرائع وتسمى هذه الحالة انحرافا أو شذوذاً . والانحراف عند « مكدوكل » عمليات تضليلية للتسامي ويقسمها فرويد الى انحرافات من حيث الغاية واخرى من حيث الموضوع ، فالموضوع الجنسي هو الشخص الذي تصدر عنه الجاذبية الجنسية فهي تلك الغاية التي تحاول الغريزة الجنسية الاتجاه نحوها . وفي الحالة الطبيعية يكون الموضوع الجنسي هو الجنس المعاكس والغاية الجنسية هي المقاربة الجنسية الطبيعية . أما في حالة الانحراف فتتعدد المواضيع بتعدد حالات الانحراف فقد يكون الموضوع لذات الشخص نفسها وحينئذ ينشأ ما يسمى بالنرجسية : « حب الذات وتعشق الشخص لنفسه » أو أن يكون الجنس المماثل موضوعا فينشأ حب الجنس المماثل « بين النساء أو بين الرجال » أو منصباً على الحيوان وهو لا يختلف عن حب « الغلمان » في الغابة أو أن يكون جزءاً من جسم الجنس المعاكس تتوقف عليه الاثارة الجنسية وبالتالي يتوقف عليه الحب عادة فكثير من الرجال يتعشقون في النساء رائحة خاصة أو موضعاً خاصاً من أجسامهن « والكثير ممن يذهبن الى خطبة فتاة — في بلادنا — يكون الخاطب قد زودهن عادة بما يهوى من هذه الصفات » ويكون منشأ هذا النوع من الحب حادثة قديمة اقترن فيها عمل بعض الحواس بالاثارة الجنسية وقد روى [مكدوكل] أن زوجا كان يخاف هدم كيان عائلته لأنه أحب احدى الغرويات حباً جماً دون أن يعلم السبب مع انها لم تكن ذات جمال غير اعتيادي وقد صمم على الطلاق وبعد الفحص والتحقيق تبين أن ذلك يرجع الى عهد طفولته وان ما أثار حبه هو رؤيته باطن يدي الغرويه وقد احمر من تأثير غسل طفلها وان ذلك قد أثار بذهنه ذكريات طفولته حين كادت غريزته الجنسية تثار وهو ينظر الى يدي مربيته وهي تغسل جسمه ، وقد شفي من حبه الطارئ هذا حين ذكره « مكدوكل » بهذه القضية .)

والبحث في الانحراف لايتسع له المجال في هذا المقال ولذا رأيت أن أوجز فاقول أن الانحراف يؤدي غالباً الى جرائم أخلاقية منكرة وقد وقفت على تفاصيل أفظعها في « ديال » حيث كان المجرم كهلا وكان قد افتض بكارة فتاة صغيرة السن ومن ثم قتلها ومثل بها ويعزى هذا الانحراف الى نوع من الحب لم اذكره آنفاً هو حب الشيوخ ويصاب به كبار السن ولكنه في هذه الحالة كان مصحوبا بمرض عصبي ، ويقول علماء النفس بان سبب هذا النوع من الحب يرجع الى تثبيت الطاقة الجنسية في كبار السن على الصغار لممارسات جنسية سابقة ويقول « مكدوكل » ان كل مخلوق بشري معرض للانحراف في ظروف معينة كما في حالة الحرمان من الحب الجنسي الطبيعي المصحوب بتأثيرات مغرية يقوم بها اشخاص آخرين من نفس الجنس بقصد أو بغير قصد « وهذا ربما كان أحد أسباب اللواط »

الخلاصة — من المعلوم ان المجتمع البدائي لم يكن يرتبط بروابط اجتماعية وثيقة ولم تقيده عادات أو تقاليد من أي نوع كانت بل كان يعيش على الفطرة حياة شيوع مطلق في كل شيء فكانت الغريزة الجنسية تجد لها

متنفساً ولذا لم تنشأ هذه العواطف التي ظهرت بظهور القيود الاجتماعية التي فرضتها العادات والتقاليد وغيرها والحب عاطفة من هذه العواطف كانت تعنى الحب الجنسي ابتداءاً ثم لما كبحت التقاليد الاجتماعية والنزعات الدينية جماح الغريزة الجنسية صار هناك صراع عنيف بين رغبات متعارضة منها ما يفرضه المجتمع على الفرد اذا ما أراد الارتباط بالجماعة وهو اتباع ما تفرضه تقاليد هذا المجتمع ومعتقداته « وأهم مبادئه هو ما يؤدي الى كبت الغرائز البدائية ومنها الغريزة الجنسية التي تعد أهم هذه الغرائز ومنها الدافع الجنسي الملح فكان أن تغلبت العوامل الاولى وكانت النتيجة أن كبتت الغريزة الجنسية ولكنها بقيت مختفية في اللا شعور حيث تخرج الى عالم الواقع كلما خف عنها الضغط والافصاح عنها يكون باشكال مختلفة منها ما ينتج عن التسامي بهذه العاطفة كالحب بشكله المثالي وهو الذى لا يتعارض مع عقائد المجتمع ونزعات الدين . أما الأشكال الأخرى التي تعرضت لها فهي أشكال لا تخرج عن كونها افصاح عن الغريزة الجنسية بشكل قد يألفه المجتمع ولا يحرمه الدين فيعد عاطفة نبيلة أو أن لا يألفه فيعد ذنباً مشيناً .

وأخيراً فان موضوع الحب موضوع متشعب النواحي يحتاج الى الافاضة في البحث ولكني رغبة في الايجاز عمدت الى الاختصار في بعض نواحيه وتركت قسما آخر منها لانها تمت اليه بصورة غير مباشرة ولا أدعى أني قد وفيت الموضوع بحثاً لأنه لا يزال هناك مجال للبحث والتمحيص لمن يرغب في خوض هذا الموضوع .

يحيى جمال الدين المحاني

البيان العدد ٦٧، ٦٨ اعلان التاريخ ١٠-٧-٤٩

ان الدار المسلسلة ١٧٧٧ الواقعة في محلة العمارة العائدة الى المدين صادق بن الحاج مهدي الدجيلي المؤمنة بالوكالة الدورية عند الدائن محمد صالح بن الحاج مهدي الدجيلي قد وضعت بالمزايدة مقابل بدل الرهن وربحه فمن تاريخ هذا الاعلان لمرور خمسة واربعين يوما على الطالب للشراء ان يراجع دائرة الطابو والمنادي عبد الغني ابو غنيم .

٣-٣ طابو النجف

نجوى ..

بقلم الأستاذ الشاعر أنور الجندي

+

يا ليلة كنا وكان الصبا ... اغرودة رفت على شاعر
ووميضة ريا على مبسم ... ترفض عن ذكرى هوى ثائر
رسمية مرت على جبهتي ... مرور حلم رقّ ناضر ....
تهتز في عين الأسى أنة ... وأنة في جفني الحائر

*

يا خفقة القلب غداة النوى ... يا خمرة الاهداب والناظر
لي في حنايا أضلعي هيكل ... محرم العطر على الكافر . .
وفي زوايا روضتي وردة ... عذراء ما رفت على فاجر
من دفقة الالهام أوراقها ... ومن غناء البلبل الساحر..
يثيرها الشوق وكم عذبت ... سموم هذا الشوق من ساهر

*

يالفتة الاعناق قبل اللقا ... يا خفقة الأحلام في خاطري
على شفاهي منك إيماءة ... ورعشة في طرفي الفاتر
وفي خيالات المنى لهفة ... شقراء لا تحنو على ذاكر..
الله في ليلي على هضبة ... نسيجتها من حبي العاطر...
تقول والآلام في صدرها ... أما لهذا الليل من آخر ..؟

« أنور الجندي »

« اعلان »

البيان العدد ٦٧، ٦٨ التاريخ ١٠ / ٧ / ٤٩

ان الدار المرقمة ٢٦-٣٧ تس ٦٥١ الواقعة في ناحية الكوفة في محلة الرشادية العائدة الى المدين عبد الحسين بن ملاهزاع المؤمنة عند الدائن الحاج عزيز الحاج عبد علي الزعتري قد وضعت بالمزايدة مقابل بدل الرهن وربحه فمن تاريخ هذا الاعلان لمرور خمسة واربعين يوما على الطالب للشراء ان يراجع دائرة الطابو والمنادي عبد الغني ابو غنيم

٣-٣ مامور طابو النجف